**محاضرة مراحل الاكتساب اللغوي**

**1-نظريات الاكتساب اللغوي:**

**1-1-النظرية السلوكية:**

نشأت النظرية السلوكية على يد علم الفسيولوجيا الروسي "إيفانبتروفتش بافلوف" الذي كان مهتما بدراسة سلوك الحيوان وإمكان تطبيقه على سلوك الإنسان ، وكان أبرز علماء النفس السلوكيين اللذين اتجهوا إلى تطبيق القوانين السلوكية لهذه المدرسة على اكتساب اللغة وتعلمها وتعليمها، فتعلم اللغة في نظرهم لا يختلف عن تعلم لعبة كرة قدم والسباحة... وتتلخص هذه الآراء في أن اكتساب اللغة بناء عادات سلوكية تعتمد على المثير والاستجابة والتعزيز.

فاللغة هي عادة سلوكية مكتسبة ، فإن المبدأ الأساس في هذه النظرية في تفسير اكتساب اللغة هو أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من المعلومات اللغوية، وأن البيئة التي ينشأ فيها هي التي تسطر في هذه الصفحة ما تشاء سواء كانت طبيعية كالوالدين أم بيئة تعلمية تربوية كالمدرسة، حيث أن الطفل يكتسب اللغة بالسماع والتلقين والتدريب.[[1]](#footnote-2)

ولقد نشأ في رحاب المبادئ السلوكية تيار لساني يتزعمه الباحث اللساني الأمريكي "بلومفيلد Leonard Bloomfield"، وتتلخص نظرته إلى اللغة في أنها نظهر من مظاهر السلوك الآلي للإنسان الخاضع لقانون المثير والاستجابة ، واللغة ما هي إلا نوع من الاستجابات الصوتية لحدث معين، يثبت منها ما يلقى حافزا إيجابيا في حالة صحتها فيصبح عادة سلوكية مكتسبة ، وينطفئ منها ما لم يكن كذلك فينسى ولا يكتسب.[[2]](#footnote-3)

**1-2-النظرية الفطرية ) النظرية اللغوية / العقلية ( أو النظرية التوليدية التحويلية أو الوظيفية:**

تأثرت هذه النظرية التي يتزعمها العالم اللساني الأمريكي "**نعوم**

**تشومسكي NoamChomsky "** بالفلسفة الديكارتية، وقد أعادت هذه النظرية الاعتبار للجانب العقلي، وهي ما غاب عن أصحاب الاتجاه السلوكي، أو ما نفت وجوده في عملية الاكتساب اللغوي.

وقد جاءت هذه النظرية كردة فعل على أفكار ومفاهيم النظرية السلوكية، وترتكز النظرية الفطرية على الفرضية القائلة بأن الطفل يولد\* وهو مزود باستعداد فطري لإنتاج اللغة ويتم ذلك من خلال امتلاك الطفل لمعرفة ضمنية في قواعد اللغة مدعمه بمادة لغوية، إذ يستطيع إنتاج عدد لا متناه من الجمل لم يسبق له سماعها من قبل، وهذه القدرة "مركزة في الإنسان بالولادة أي أننا نولد بجهاز داخلي من نوع ما يوجهنا إلى اكتساب اللغة أي إدراك اللغة التي حولنا إدراكا منظما والى إنتاجها بعد أن يتم استيعابها داخليا.

ويشرح **" أحمد عبد الكريم "** كيفية اكتساب اللغة في قوله " إن أي إنسان يعيش في بيئة معينة فإنه يكتسب لغة هذه البيئة بقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية، ويعرف قوانينها الاجتماعية ويتقن أساليبها التداولية التواصلية مهما بلغت من التعقيد بما وهبه الله من قدرة عقلية فطرية كامنة في دماغه وهذه القدرة أطلق عليها" تشومسكي "القواعد الكلية، ذلك أن " الطفل الذي يكتسب لغة البيئة التي يترعرع فيها يكتسب في ذاته الكفاية اللغوية في لغته بصورة ضمنية قواعد اللغة التي تتيح له إنتاج جمل اللغة وتفهمها، فهذه القدرة الفطرية التي تتشكل بصورة ضمنية تتيح للطفل إنتاج جمل لم يسبق له سمعها.[[3]](#footnote-4)

ويلخص لنا "الراجحي"مبدأ كل من النظرتين السلوكية والفطرية في قوله :" أن الاتجاه السلوكي استقرائي يهدف إلى ترسيخ العادات اللغوية بهذه العوامل الخارجية، أما الاتجاه العقلي،فاستدلالي يهدف إلى تقوية القدرة اللغوية التي فطر الإنسان عليها عن طريق تمكينه من وسائل الاستدلال الصحيح بإشراكه إشراكا فعليا في إنتاج اللغة لا محاكاة ما يتلقاه منها.

أما بالنسبة لمسألة تعلم اللغة الثانية فهي في نظر "**تشومسكي Chomsky "** بعيدة في تطبيقاتها عن اكتساب اللغة الأولى لاعتقاده أن اكتساب اللغة الثانية يتطلب عمليات معرفية معقدة يختلط فيها الاكتساب بالتعلم مما يبعدها عن السلوك الفطري.

وتختلف فرضيات النظرية الفطرية عن السلوكية في كونها تركز على الاستعداد الفطري مدعما إياه بدور التنشئة الاجتماعية في حين أن النظرية السلوكية لم تتعد كون اللغة نوع من أنواع السلوك الإنساني يتمظهر على شكل عادات كلامية تترجمها مثيرات واستجابات تدعمها التعزيزات التي يتلقاها الطفل بتفاعل مع الجماعة اللغوية والبيئة الاجتماعية المحيطة به[[4]](#footnote-5).

**1-3-النظرية المعرفية:**

جاءت النظرية المعرفية لترفض تلك المفاهيم التي قدمتها النظرية السلوكية بشأن تعليم اللغات، والتي مفادها أن تعليم اللغة هو قضية اكتساب مجموعة من العادات اللغوية. وأن اللغة هي مجرد استجابات لمؤثرات، لهذا جاءت النظرية المعرفية لتجاوز الفكرة السلوكية في المثير و الاستجابة وتركز عنايتها على العقل الإنساني.

فقد شهدت دراسة اللغة أوائل القرن العشرين تحوّلا أساسيا خاصة بعد مجيء **دي سوسير**، فهو مؤسس علم اللغة الحديث دون نزاع . وكان لهذا الأخير دور كبير من خلال التأسيس المنهجي الذي وضعه في مجال تعليمية اللغات، يقول" : **جون ليونز** (John Lyons) " : "يمكن أن نميز إلى حد الآن بين عدد كبير من المدارس في ميدان اللسانيات ، غير أنها كلها وبدون استثناء خاضعة للتأثير المباشر وغير المباشر لدروس دي سوسير."

وهذا يعني أنّ النظام اللغوي الذي جاء به دي سوسير (De Saussure) ، كان متميزا لحد جعل أفكاره سائدة في المجال اللغوي )اللساني(، حيث كان الفضل له في وضع أرضية متينة لإمكانية وجود نظرية لسانية قادرة على تفسير الظاهرة اللغوية، وأبرز ما ميّزه نظام الثنائيات كثنائية الدال والمدلول وثنائية الزمانية والآنية وتحدثه عن الدليل اللغوي...الخ .

ولقد كانت هذه الثنائيات أهم الأسس التي قامت عليها اللسانيات الحديثة، ذلك أنّ اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري وهذا المنهج العلمي الموضوعي هو الذي اعتمده **دي سوسير** في دراسته للغة، بعد أن عارض المنهج التاريخي الذي كان منهج النحويين الشبان، وقرر أن اللغة ينبغي أن تدرس حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة.

ولقد اتضح علم النفس المعرفي أكثر مع **تشومسكي (Chomsky)** ومنهجه العقلاني المستوحى من المنهج الديكارتي، والذي يستند إلى الحدس من خلال اعتماده في دراسة الظاهرة اللغوية على المنهج الاستنباطي.

هذا الأخير حسب تشومسكي هو أولى وأصلح من المنهج السلوكي في دراسة الظاهرة اللغوية ، ومنذ ذلك الحين ارتبط المنهج التحويلي بعلم النفس المعرفي. ومن ثم ظهرت النظرية التوليدية لدى تشومسكي، هذه الأخيرة قضت على الأسس البنيوية للمدرسة السلوكية. ذلك أن اللغة في نظر تشومسكي ظاهرة إدراكية قبل أي شيء آخر، وما الظواهر السلوكية سوى نتاجات للعمق الإدراكي للغة. أما المظاهر الخارجية لها، فما هي إلا مفاتيح نصل بها إلى العمق اللغوي الخفي.[[5]](#footnote-6)

والحقيقة المعرفية اللغوية التي جاء بها **تشومسكي**، جاءت بعد أن بالغت البنيوية السلوكية في تعميم نتائج التجارب التي أجريت على الحيوان، فجاء انتقاد تشومسكي لكتاب **سكينر** )السلوك الكلامي(، حيث أبرز انتقاداته باختلاف لغة الحيوان عن لغة الإنسان العاقل.

ولذلك فإن المدرسة المعرفية رأت بأن" الظاهرة اللغوية كظاهرة عقلية لا يمكن تفسيرها بالفعل ورده، كما كان يعتقد سابقا، وإنما بمحاولة دراسة القابلية اللغوية لدى الإنسان. وإنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا إذا توسع الدرس اللغوي فشمل إلى جانب الظواهر اللغوية أو التراكيب السطحية اللغوية، التراكيب العميقة التي تطرأ على هذه التراكيب قبل أن تصبح ظاهرة.[[6]](#footnote-7)

**و**يرى بياجيه PIAGET في نظريته البنائية أن اللغة تنظيم قائم ضمن مجتمع يوضع في خدمة الذي يكسبه وسائل فكرية ثرية تخدم التفكير، فيعبر بها الإنسان عن معرفته. لهذا فهو يركز في دراسة

اللغة وفي بلورة نظرياتها على العلاقة الكائنة بين هذه اللغة ومراحل الإدراك والفكر لدى الفرد. وقد أمكن استثمار نظريته في مجال تربية الأطفال وبخاصة في المرحلة الابتدائية التي تعتمد على الرسم البياني والصور والأشياء المحسوسة.

 وقد قامت فلسفة نظريته على الاعتقاد بأن اكتساب العادات وتعلمها يتم عن طريق المنبع الخارجي المؤثر في الإدراك ، وهذا الاعتقاد يلامس إلى حد كبير اعتقاد النظريات البيئية التي ترى أن الإنسان وليد بيئته، إلا أن بياجيه أضاف إلى هذا الآمر ما يتعلق بالجانب التعليمي التعلمي المتمثل في ربط المعرفة بالفعل والممارسة ، فالفعل يؤدي إلى التعلم وهو أداة الكشف والبناء والوسيلة للتعبير والتصحيح.[[7]](#footnote-8)

وهذا الفعل مرتبط بالنمو الذهني لدى الفرد. لهذا )وحسب بياجيه( فإن مراحل النمو لدى المتعلم تمثل عملية بناء تعلمية تعليمية، مع العلم أنه يخضع ترتيب ظهور هذه المراحل للنسق ذاته بالنسبة لكل الأفراد، وهذه المراحل هي:

**أ. مرحلة الذكاء الحسي الحركي:**  تمتد من الولادة حتى السنة الثانية تقريبا، وتتميز بالانتقال من النشاط الانعكاسي عند المولود إلى النشاط الإرادي، وهي بمثابة المرحلة ما قبل اللغوية لدى الفرد، وهي مصدر العمليات الذهنية لديه.

**ب. مرحلة العمليات العيانية:** تمتد من السنة الثانية حتى سن الحادية عشرة تقريبا، وتتميز بظهور العمليات العيانية التي تمثل الأفعال الممكن التفكير فيها أو تحويلها إلى أنساق عامة مجردة على منوال التصنيف والترتيب والتسلسل والمطابقة.

**ج. مرحلة العمليات الصورية:**  وتبدأ من السنة الثانية عشرة، وتؤدي إلى أشكال الفكر الأكثر تطورا لدى البالغين، ويصبح الذكاء منطلق كل عملية استنتاجية أو استقرائية أثناء التعلم .

وترى هذه النظرية أن المتعلم يبني معرفته بنفسه في ضوء خبراته السابقة، ولكن لا يحدث ذلك إلاعند استثارة بنياته المعرفية السابقة من خلال مواجهة مواقف تعليمية تنطوي على مشكلات أو متناقضات، مما يؤدي لظهور هوة معرفية تدفع المتعلم لبذل جهد ونشاط هادف من خلال تفاعل اجتماعي لسد الفجوة المعرفية، وليتمكن الفرد من توليد الحلول وانتقائها للوصول إلى حلول للمشكلات أو المتناقضات، وإلى إعادة تشكيل البنية المعرفية للربط بين المعرفة الجديدة والسابقة، ثم استخدام البنية المعرفية الجديدة في التطبيقات الحياتية مما يجعل التعلم ذا معنى .[[8]](#footnote-9)

**2-مراحل الاكتساب اللغوي:**

**2-1-المرحلة قبل اللغوية )مرحلة اللغة السيميائية(:**

تشمل هذه المرحلة في الغالب السنة الأولى من حياة الطفل، وسميت بمرحلة ما قبل اللغة؛ لأن الطفل في هذه المرحلة لا يستعمل لغة حقيقية ) لغة مقطعية تخضع لقانون التمفصل المزدوج( وإنما أشكال تعبيرية غير مقطعية، كالأصوات العشوائية والصراخ والضحك والإيماءات والإشارات وغيرها، لهذا سميت ب **"مرحلة اللغة السيميائية،"\***

فكل إشارة فيها ترمز إلى موضوع عام. في هذه الفترة يستعمل الطفل الصراخ والمناغاة والبكاء والإيماءات الجسدية للتعبير عن حاجاته البيولوجية بطريقة غريزية غير متعلمة، وهي بذلك مشتركة بين أطفال العالم، ولا تخضع لقواعد النظام اللغوي المستعمل من طرف الكبار، أي لا تخضع للتمفصل المزدوج، ولا لقواعد تجاور الأصوات وتنافرها، كما لا تعبر عن تجارب الطفل الماضية ولا المستقبلة )أي تفتقر لخاصية الإزاحة التي تميز لغة الإنسان عن لغة الحيوان(.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى عدة فترات:[[9]](#footnote-10)

**أ- فترة الصياح :**

تبدأ من الميلاد إلى حوالي الشهر الثالث ، وفيها يعبر الطفل عن حاجاته بالصياح والصراخ، وهي مرحلة عام لدى جميع الأطفال وتعتبر مرحلة مهمة جدا لأنها تساعد على تدريب الجهاز الصوتي والجهاز السمعي لدى الطفل رغم أنها لا تنتج لنا أي لغة تعبيرية أو استقباليه، لذا يرى بعض العلماء ضرورة ترك الرضيع يبكي لمدة تتراوح بين 1 و21 دقيقة لتقوية عضلات الصدر والرئتين، لكن البكاء أو الصراخ في حد ذاته يعتبر وسيلة للتواصل يتضمن رسالة غريزية إلى الأم التي تقوم بأية استجابة للحد من بكاء الطفل أو صراخه، حيث تميز بين بكاء أو صراخ الجوع أو الألم أو الغضب إلى غيرها من الحالات الانفعالية، قال محمد نبيل النشواني: )إن أول ظواهر النطق هي الصراخ والبكاء، حيث يعبر الطفل بواسطتها عن جوعه أو عطشه أو ألمه أو ما شابه ذلك، في الشهر الثالث من العمر يلجأ الطفل إلى هذه الوسيلة من التعبير عندما يشعر بالوحدة، ويود صحبة أمه أو رفيق آخر يداعبه أو يأخذ به إلى النوم أو غير ذلك من الأمور وقال عبد الباسط محمد السيد: ) صيحة الميلاد وهي التي تبدأ بها مظاهر الحياة عند الطفل، وتنتج عن اندفاع الهواء بقوة عبر الحنجرة في طريقه إلى الرئة، فتهتز الأحبال الصوتية لأول مرة، وتصدر عن الطفل صيحة تسمى "صيحة الميلاد" وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر، وذلك حسب حالته الصحية أو نوع الولادة، فصيحة القوي قوية وصيحة الضعيف خافتة ومتقطعة.[[10]](#footnote-11)

**ب - فترة المناغاة :**

تمتد من الشهر الثالث حتى الثامن تقريبا، فابتداء من الشهر الثالث أو الرابع تظهر بوادر المناغاة التي قوامها سلسلة طويلة من التمايزات الصوتية التلقائية التجريبية في صورة لعب، يسهم في التنظيم الصوتي السمعي لأجهزة الطفل الكلامية وعاداته اللغوية، ورياضة وظيفية للحنجرة والبلعوم واللسان، ليس لها مدلول لغوي بالمعنى الصحيح .

والأصوات التي تظهر في هذه الفترة ناعمة عفوية تصدر عن الطفل تبعا لوضع جسمه وأعضاء نطقه، وهذه الأصوات ليست تقليدا للغة الكبار في البدء، يدل على ذلك وجودها لدى الأطفال الصم الذين يتعذر عليهم سماع أي صوت، بالإضافة إلى وجود أصوات ضمنها غريبة عن اللغة التي يسمعها الطفل في محيطه البيئي، قال محمد نبيل النشواني: )في الشهر السادس ينطق الطفل أولى كلماته، وهي ماما-بابا-دادا، لكنه لا يدرك المعنى الحقيقي لكل منهما، فقد ينادي أمه بكلمة بابا وإخوته بماما وهكذا. وعندما ينادي أمه بكلمة ماما، فإنه لا يعي ولا يقصد ما يقول. وقد يكون قصده من هذا النداء حاجته إلى زجاجة الحليب أو إلى من يحمله ويداعبه أو غير ذلك. بالرغم من ذلك يعتبر هذا النداء بداية النطق في هذه المرحلة المبكرة من حياة الإنسان( .

**ت - فترة التقليد :**

اختلف الباحثون في تحديد سنها بين تسع أشهر إلى سنتين ونصف . وتعد مرحلة التقليد من أهم المراحل في بناء أسس تعلم اللغة للطفل، حيث إنها تحول المناغاة ) اللعب بالأصوات ( إلى كلمات ذات معنى وتناسق صوتي، ومرحلة تعد الطفل إلى تعلم اللغة الأم من محيطه، وذلك بتقليد بعض الكلمات وتكرارها. الطفل الذي تكون رغبته في التواصل مع الآخرين قوية يزداد لديه الدافع لتعلم اللغة بقدر أكبر مما يحدث لدى الطفل الذي لا تتوفر لديه رغبة في التواصل .

وقد أظهرت بعض الدراسات التي أجريت حول تطور لغة الطفل خلال هذه المرحلة ، أن التقليد وتكرار بعض الكلمات في البداية غير محكم وغير دقيق ، إلا أنها تشعر الطفل بالزهو في أنه يتكلم كما يتكلم البالغون،

وكذلك أوضحت بأن نطق الطفل خلال هذه الفترة المبكرة من التقليد كثيرا ما يكون غير مفهوم إلا في نطاق ضيق من المحيطين به.[[11]](#footnote-12)

**أ- مرحلة الإيماءات :**

هي مرحلة تسبق مرحلة النطق بالكلمات ، أي مرحلة الكلام الحقيقي ، وتظهر مرحلة الإيماءات بوضوح قبيل بلوغ الطفل عامه الأول أو قبلها بقليل في الشهر التاسع، حيث يحاول الالتجاء إلى الإيماءات بالرضا أو بالرفض، فمثلا يحاول الطفل الرضيع تحويل فمه عن ثدي أمه أو زجاجة الرضاعة تعبيرا أو إيماء عن شعوره بالشبع ، وكذلك ابتسامته ومد ذراعيه نحو أمه أو أحد البالغين القريب منه، هي إيماءات للتعبير عن رغبة الطفل في أن تحمله الأم ...وإرساله الصراخ وضرب يديه، أو رجليه أثناء الاستحمام إيماءات على رفضه الاستحمام.[[12]](#footnote-13)

**2-2-مرحلة اللغة الحقيقية:**

نلاحظ خلالها إثبات ملكة التكلم وتكاملها، كما أنها تخص المقاطع الصوتية لتشكيل الكلمة والكلمات، ثم الجمل وتشمل مرحلتين: مرحلة تعلم المفردات ومرحلة تركيب الجمل.

**أ-مرحلة تعلم المفردات:**

تعتمد هذه المرحلة على معطيات المراحل السابقة لتطور اللغة غير المقطعية (الصراخ-المناغاة-التقليد-الإيماءات) حتى يتهيأ الطفل للدخول في المرحلة اللغوية، وتنمي لديه الاستعداد لذلك.

وما رأيناه من صيحات أو صرخات إضافة إلى مناغاة بعض الأصوات ما هو إلا تمهيد لنطق أولى الكلمات والطفل يفهم اللغة قبل استخدامها وإنتاجها، فهناك اللغة الاستقبالية receptire langages أي اللغة التي بإمكان الطفل استخدام كلماته بنفسه.

ويستوجب على الطفل المرور بهذه الاستعدادات ليتفوه بأول كلمة ذات مقاطع صوتية، حيث تنطلق وتسجل في معجم الطفل أولى المفردات "بابا" و"ماما" ثم تتوالى كلمات أخرى بالظهور مثل "دادا"، "دود"، "توت"، "تات"، وفي محاولة تمتزج هذه المقاطع لتظهر عرضا في إئتلاف صوري صوتي يوصل الطفل بالآخرين.[[13]](#footnote-14)

ويظهر نمو اللغة عند الطفل في البداية مجسدا في المقاطع المكونة من الأصوات الشفوية والأسنانية (المنطوقة بضغط حرف اللسان على الأسنان) مثل: "بيب"، "بيت"، "تيت"...، وأغلب هذه الكلمات التي يتلفظ بها الطفل تكون مكونة من مقطع صوتي واحد مضاعف، إذ تقوم هذه المفردات مقام الجملة، فلقد يعني بقوله: "بابا" "أريد الكرة" أو "أين الكرة" أو "أنظر إلى الكرة"، وذلك كله بحسب السياق، وما على الكبار إلا أن يستنتجوا المعنى المقصود من الإشارة التي يرفق بها الطفل الكلمة، أو من نبرة صوته أو من ملامح وجهه. وأغلب الظن أن الطفل قلما يستعمل الكلمات الأولى للإشارة بها إلا مدلولاتها، لأن الأشياء لا تعنيه إلا بمقدار ما تحوم حول ذاته، ولذلك فهو ينظر إليها من خلال نفسه، أي من خلال رغباته و حاجاته.

وهذا شبيه بما يحدث لدى الكبار، فمن أجل أن تكون الفكرة واضحة والقصد مفهوما لابد من مراعاة دقة استعمال الكلمات استعمالا خاليا من اللبس والغموض سواء أكان هذا الاستعمال حقيقيا أم مجازيا ويكون ضمن المألوف والمعروف من أساليب أفراد المجتمع.

فكثيرا ما تمر أساليب على بعض الناس، فيمعنون النظر فيها و يقبلون فكرهم حولها لأجل الوصول إلى المعنى المنشود والوقوف على حل رموز هذه الأساليب ولكن دون الوصول إلى خيط يقودهم إلى الهدف.

ويكون تلفظ الطفل بالكلمة الأولى حينما تنتهي مرحلة المناغاة، فيتحول بذلك من النمو قبل اللغوي إلى النمو اللغوي، ويبدأ عادة نطق الكلمة الأولى بعد العام الأول من العمر وذلك بمراعاة الفروق الفردية، إذ تتسم بالانفعال émotionأي معبرة عن رغبات الطفل ومشاعره.

فمثلا حينما يقول كلمة "أكل" بصوت عال فهو يهدف من ورائه "أريد شيئا أتناوله"أو "إني جائع"، وإذا كان بصوت منخفض فيقصد "أني شبعت"، وأحيانا يردد كلمة معروفة لديه مثل "أبي" أو بالعامية "بوي" وذلك ما نلمسه في الواقع، إذا سألته: "من أعطى لك النقود؟" يقول "أبي" و "من هو أبوك؟" يقول "أبي" و "ما اسمك" فيقول "أبي"، فإذا عددنا له أسماء الأشخاص مثل "عيسى"، "محمد" فيذكر اسم أبيه مثلا" عدة".[[14]](#footnote-15)

وتظهر مفردات الطفل الأولى في نهاية العام الأول دون تطابق تام مع أصول نطقها عند الكبار، وتتزايد المفردات لديه بين العام الأول والثاني بشكل بطيء، وبعد هذه الفترة تتطور وتتزايد لغته بسرعة حتى يبلغ سبع سنوات.

وشأن الطفل في اكتساب اللغة شأن البالغ الذي يتعلم لغة أجنبية، فهو يستطيع فهم عدد من الكلمات تفوق التي يستعملها فعلا من هذه اللغة الأجنبية، لكنه لا يستطيع أن يوظفها كلها، فكذلك الشأن بالنسبة للطفل حيث يفهم عددا كبيرا من الكلمات التي يسمعها ولكنه لا يستطيع استعمالها أو توظيفها.

وعندما يتجاوز الطفل سنتين ونصف من عمره، يكون لديه حصيلة من ألفاظ اللغة المتداولة، تفوق أحيانا خمسين كلمة، وهي في معظمها ما يتصل بأسماء أفراد الأسرة (بابا، ماما، جنان، حسن...) أو المتعلقة بالأكل والشرب (الماء، شاي، بيض، شكولاطة...) أو ما حوله من أثاث ولعب (باب، كأس/ ملعقة، كرة...) أو من الصفات وغيرها: "أح" تعني حار/ "وواوح" تعني الشيء المؤلم أو الموجع/ "باي" إلى اللقاء/ "بح" انتهى، "أمهه" أي أريد، ومن هنا يمكن القول أن معظم الكلمات التي يكتسبها الطفل قبل المدرسة ذات مدلولات محسوسة وبالأخص الكلمات التي تدل على أشياء أو مخلوقات قابلة للحركة مثل الكرة، الكلب، القط، السيارة...الخ.

ويتطلع الطفل لما حوله من سلوكات وتصرفات، وأداء للأعمال والوظائف الحياتية المتعددة محاولة منه تحقيق الرغبات الكامنة في نفسه، فمعرفته للألفاظ ودلالتها مع توافر القدرة في الأداء والتعبير المتخزنين، والنطق الذي يشكل واسطة الاتصال وأداة التفاهم، وهذه تمنحانه مساحة أكبر للدخول وتحقيق الجانب المعرفي، ورغبة كامنة في نفسه لاستجلاء الغوامض والوقوف على أسباب الأشياء ووجودها البنيوي.

وإن معرفة عدد كبير من المفردات والسهولة الظاهرة لاستخدام اللغة قد يخفيان عجزا لدى الطفل، فحينما يتكلم كلمة ما، فإنه يتعلم مفهوما قد يمثل آلاف الخبرات المنفصلة ، وقد يتسع لأكثر من ذلك، والمعاني في تغير مستمر والخبرة تفسر لما يضاف إليها جديد، ولابد من تعليم الأطفال في جعل خبراته مفتوحة وليست جامدة دون تغيير حتى يستمر اختزانه الذهني لديه، وهذا الاختزان للمفردات يؤهله لتكوين جمل وإن كانت ناقصة في بداية الأمر.[[15]](#footnote-16)

**ب -مرحلة تركيب الجمل:**

تبنى هذه المرحلة على سابقتها، فتعلم عدة مفردات واستخدامها أحيانا على مجموعة من المعاني أو الدلالات يجعله يركب كلمتين أو ثلاثة قصد إعطاء ما يكمن في نفسه من رغبات، وبعد أن يكتسب الطفل الكلمات الأولى التي يستخدمها بثبات واستمرار ومعنى و المواقف المختلفة والمناسبة للكلمات، يحدث نوع من التطور في مختلف المهارات اللغوية.

فحينما يصل الطفل إلى سن ثمانية عشر شهرا من العمر يصبح كلامه واضحا ومفهوما بالنسبة للمقربين منه والغرباء عنه على حد سواء، ولكن لابد من بعض الوقت الطويل قبل أن يصبح كلام الطفل بصفة عامة مثل كلام الكبار، أي قبل أن يتقن التكلم بلغة الجماعة التي يعيش فيها ويتعود على التواصل معهم خاصة في إبداع كلمات جديدة تدخل قاموسه الذهني، فالحوار والملاحظة بالنسبة للطفل عاملان مهمان في تطور لغته وإثرائها بمفردات جديدة في عالمه.

ولا يمكن للطفل تكوين جملة إلا باكتسابه للعديد من المفردات، ويقدر البعض بحوالي المائة أو المائتين، ومن جهة أخرى فإن الذخيرة اللغوية لدى الطفل الاقتباس يغذي المفردات التي يعرفها فحسب، بل كذلك يحسن استعماله لها، ولذلك فلابد من أن ننظر إلى مقدرة الطفل على تركيب الجمل، وهنا نلفت الانتباه إلى أن وحدة الكلام عنده ليست الكلمة كما يتبادر إلى الذهن بل هي الجمل، فهو عندما يستعمل كلمة واحدة إنما يعني بها جملة كاملة، لأن إدراكه لأقسام الكلام إدراك كلي على مستوى الجمل لا على مستوى المفردات، ولأنه لا يستطيع تحليل ما يتلفظ به أو يسمعه من الكلام إلى الوحدات الصغرى المؤلفة له.[[16]](#footnote-17)

ويكون بذلك جملا تكون ناقصة في البداية، إذ توصف جملة الطفل غير التامة أو المكتملة أو الناضجة أنها جملة سياقية contexte sentenceمنقوصة الأطراف لا تتحقق في جوانبها متطورات العوامل والمعمولات. هذه الجملة العشوائية التراكيب Arbitray sentence والتي تخرج عن نظام الجملة كما هو معلوم، فإنها قد تبدأ باسم أو فعل أو مفعول به أو صفة أو سواها من التغيرات اللغوية ، تلك التي لا يمكن لها أن تبلغ حد الإدراك أو فك رموزها إلا من قبل من هم قريبي الصلة بالطفل، اللذين اعتادوا لغته ورسم صورها النطقية وإكمال نواقصها.

وغالبا ما نرى ذلك بوضوح وذلك عند استقبالنا لأطفال الغير في الأعياد والمناسبات حين نبدأ حوار التقرب منهم ، وهم يصدون مقاطع وكلمات قد لا تعني لنا شيئا ولكنها سرعان ما تفسر وترمم جوانبها اللغوية من طرف الوالدين.

و على ذلك فلا يتم اتصال مفهوم إلا من المحتكين به ولاسيما كأن يقول مثلا: "جبنا طوطو" يريد "أتينا في سيارة"، وقد تكون الجملة ناقصة لأن اهتمامه منصب على السيارة، ومن ثم فالتحليل اللغوي للجمل المبنية من كلمتين يبين لنا أن الطفل يتيح الجملة هذه عبر لجوئه المنظم إلى فئتين من الكلمات مميزتين:

الفئة الأولى ندعوها بفئة الكلمات المحورية، ويكون عدد عناصرها قليلا، والفئة الثانية ندعوها بفئة الكلمات المفردات ويكون عدد عناصرها كثيرا، وقد دعيت عناصر الفئة الأولى بالكلمات المحورية لأنها ترد بصورة متواصلة في كلام الطفل حيث يبني عليها كلمة من فئة الكلمات المفردة في سياق تكلمه ويزداد عناصر الفئة المحورية في خلال نمو الطفل بصورة بطيئة جدا أي بمعدل بعض الكلمات المحورية فقط.

|  |  |
| --- | --- |
| **الكلمات المحورية** | وداعا، كبيرا، جميل،أنظر، هذا، هنا، أكثر |
| **الكلمات المفردات** | ولد، حليب، ماما، بابا، قهوة، طائرة، حذاء، أصغر، لعبة، اذهب، يد، سكر، يوسف[[17]](#footnote-18) |

إن استخدام هذه الكلمات في جمل لابد له من تعليق دلالات الألفاظ في عقل المتكلم، إلى أن الطفل في هذه المرحلة لا يملك معاني النحو، فهو بفطرته وملاحظته لمن حوله ووفقا لمقدرته اللغوية يمكنه نظمها وترتيبها في النطق، أي أن يتلفظ بجملة حيث يحاول الطفل الربط بين دلالات الكلمات التي يسمعها، ومن هنا يمكنه التعبير عن المعنى المراد وإن كان كثيرا من الأحيان يخل بالنظام النحوي.

حسب تقسيم الكلمات إلى محورية ومفردات يستطيع الطفل تكوين جملة باختباره للكلمات من الفئتين، بحيث يستعمل في الكلمات المحورية الظرف والتعريف والنعت والفعل في المقابل بالنسبة للكلمات المفردات يستعمل الاسم والنعت مما يدل على أن لغة الطفل تتضمن تنظيما مغايرا عن تنظيم الكبار، وبعد ستة ونصف من العمر تأخذ هذه الكلمات (محورية مفردات) مجراها في التباين إذ تتفرع الكلمات المحورية إلى فئات فرعية تبعا لإدراك الطفل للبنى اللغوية ونظرا لتطور قدرته التمييزية بين عناصر اللغة ، حيث تزداد ثروته اللغوية تدريجيا كلما نما فيه هذا التباين لأن بفعل هذا التباين تتحدد معاني الكلمات وتتعين كل كلمة في موضعها بالأشياء الموضوعة لها، وهكذا فإن للألفاظ أطيافا وضلالا وأصداء في النفس كما أن لجرسها إيقاعا في الأذن، والكلمات في التعبير كالألوان في الرسوم والأنغام في الموسيقى.

وتكتسب هذه الألفاظ الوقع الخاص لدى الطفل (التسامح) باختيار الظروف (السياق) وإعطاء الصوت المناسب، وهذا حسب طبيعة اللغة وحياتها في مجتمعها لأن اللغة الحية هي اللغة المقتدرة على العطاء المستمر، هي اللغة التي تستوعب حاجات العصر وتلبي متطلباته العامة، مستجيبة لنداء كل جديد، تتجاوب مع الحياة، تتفاعل مع احتياجاتها ولا تقف مكتوفة الأيدي جامدة هامدة لا تدري ماذا تضع أمام هذا الزحف الحضاري الهادر.[[18]](#footnote-19)

ونمو اللغة وتطورها يعتمدان اعتمادا أصيلا على الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والعرفية والحضارية للأمة عامة. كما أن لتطور المجتمع ونهوضه ونهضته علاقة وثيقة تنعكس على اللغة فيؤدي بها إلى التطور والنماء المستمرين.

وهنا يكمن دور الكبار في تلقين اللغة لأولادهم، فغالبا ما يقومون بتكرار جمل الصغار فيغيرونها حسب لغتهم وهنا يحصل توسيعا وتشعبا للغة الصغار فتندمج تدريجيا في لغة الكبار.

قد يعين هذا التوسع الطفل على الاكتشاف للمظاهر الخاصة بلغة الكبار فيستغل عملية الاكتساب والتوسيع في الجمل يختلف من عائلة إلى أخرى، قد يظهر هذا التوسيع من محاولة الأهل التأكد من فهم جمل الطفل وينتبهون إلى كل ما يقوله طفلهم فينصتون إليه ويحاورونه. وكذلك تنمو معاني الجمل لدى الطفل بممارستها وتأديتها في سياقاتها المحددة فمثلا الجملة التالية: "الباب مفتوحة على مصراعيها" من الممكن أن تكون وصفا لواقعة، أو تكون طلبا منا لإغلاقها بسبب إصابتنا بالزكام، ولذلك فمفهوم الجملة لا يتوقف على مضمونها فقط ، بل يجب الكشف عن القصد الذي أدى إلى إصدارها، وهذه هي البيئة المزدوجة التي تميز كل الأفعال اللغوية ، ويشرحها "هابرماس" بأن تحقيق التواصل بأشياء أو وقائع حال) شريطة تحقيق تواصل فوقي يتزامن بخصوص المعنى الاستعمالي للجملة الملازمة له، أي بخصوص القصد.

بالتالي لا يمكن لفعل اللغة أن يتحول إلى جملة، أي لا يتحول إلى وحدة لسانية بل إلى وحدة تداولية وهذا ما يرمي إليه "ليوتار" على الأقل عندما يعين ما يعتره جملة في ضوء قواعد استخدام الجملة ،"Régime de phrases" ، وهنا لا يعني "ليوتار "بذلك قواعد تركيبية معجمية بالمعنى اللساني بل يقصد تلك القواعد التي تحدد المعنى الاستعماري لما قبل الجملة.

وعلى العموم يمكن افتراض تصور سيكو لساني تطوري ينبني على ثلاث مراحل في تطور اللغة عند الطفل وتعلمها.

**المرحلة السلبية:** وتتميز باختزان الطفل لرصيد من الفونيمات والوحدات المعجمية عن طريق التقليد والمحاكاة، حتى يستطيع التكيف مع الوسط العائلي، فهو بمثابة المتلقي.

**المرحلة الانتقالية:** وهي مرحلة التعلم الحقيقي، حيث ينتقل الطفل فيها من الترديد والتقليد والمحاكاة إلى إنتاج الكلام والجمل.

**مرحلة التهذيب والتنقيح:** وهي مرحلة البناء المنطقي للعناصر والتمثلات اللغوي، وحسب "تشومسكي" فإن الطفل في سن الخامسة يكون قد استثمر كل القواعد والبيانات العميقة للغة.

وهكذا تظل حصيلة الطفل من ألفاظ اللغة بمدلولاتها ومستوياتها وأنواعها المختلفة تتنامى وتتسع كلما تطور في العمر وتوسع نطاق اتصاله واختلاطه بالآخرين، وكثر سماعه لما ينشئون من عبارات وما يحكون من أقوال وينقلون من أحاديث ويتلفظون بصيغ وتراكيب تعكس مدى استيعابهم وإدراكهم لمفردات العالم المحيط بهم.

ومن الراجح أن المرحلة الأولى هي من أهم المراحل في تعلم اللغة ، رغم ما يعتريها من غموض لأنها صرخات وصيحات ، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن اكتساب اللغة في المرحلة الأولى هي على العموم تعرف على المحيط والعلاقات، وهذا التعرف من أهم العمليات في التعلم ، ومن ناحية أخرى اكتساب بعض التوفيقات التركيبية والمعجمية والصوتية، وهذه التوفيقات تختلف من لغة إلى أخرى، وتتباين على صعيد اللغة الواحدة حسب معطيات البيئة التعليمية والوسط العائلي للطفل.[[19]](#footnote-20)

1. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: **علم اللغة النفسي** ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى،2008، 248 [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع السابق، ص248 [↑](#footnote-ref-3)
3. ليلى قلاتي: **اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية وفق منظور النظريات المفسرة لعملية الاكتساب اللغوي** ، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي- الجزائر، المجلد09، العدد03، ديسمبر 2022، ص1336 [↑](#footnote-ref-4)
4. ليلى قلاتي: **اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية وفق منظور النظريات المفسرة لعملية الاكتساب اللغوي** ، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي- الجزائر، المجلد09، العدد03، ديسمبر 2022، ص1337 [↑](#footnote-ref-5)
5. فتيحة عويقب: **اكتساب اللغة لدى الطفل في ضوء نظريات** التعلم، مجلة التعليمية، المجلد12، العدد01، ماي 2022،ص20 [↑](#footnote-ref-6)
6. فتيحة عويقب: **اكتساب اللغة لدى الطفل في ضوء نظريات** التعلم، مجلة التعليمية، المجلد12، العدد01، ماي 2022،ص21 [↑](#footnote-ref-7)
7. حمدي منصور جودي: **نظريات اكتساب اللغة وتعلمها –قراءة في الرؤى والمضامين**، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد06، العدد01، مارس 2023، ص 236 [↑](#footnote-ref-8)
8. حمدي منصور جودي: **نظريات اكتساب اللغة وتعلمها –قراءة في الرؤى والمضامين**، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد06، العدد01، مارس 2023، ص 237 [↑](#footnote-ref-9)
9. بيرش رضا: **دروس اللسانيات النفسية**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات تطبيقية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، 2019/2020 ، ص 39 [↑](#footnote-ref-10)
10. بيرش رضا: **دروس اللسانيات النفسية**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات تطبيقية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، 2019/2020، ص40 [↑](#footnote-ref-11)
11. بيرش رضا: **دروس اللسانيات النفسية**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات تطبيقية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، 2019/2020، ص41 [↑](#footnote-ref-12)
12. بيرش رضا: **دروس اللسانيات النفسية**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات تطبيقية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، 2019/2020، ص42 [↑](#footnote-ref-13)
13. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-14)
14. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-15)
15. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-16)
16. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-17)
17. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-18)
18. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-19)
19. https://old-moodle.univ-tissemsilt.dz [↑](#footnote-ref-20)